" الجرس الصوتي لبعض أسماء القيامة في القرآن الكريم، وأثر السياق في ذلك

The vocal timbre of some names of the Resurrection in the Holy Qur'an, and the effect of context on that

إعداد

د/ رحاب كامل عبد اللّه الهاشمي

الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة شقراء

الجرس الصوتي لبعض أسماء القيامة في القرآن الكريم، وأثر السياق في ذلك

رحاب كامل عبد الله الهاشمي
قسم التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة شقراء
البريد الإلكتروني : ralhashimy@su.edu.sa

الملخص:

هذا البحث بعنوان:(الجرس الصوتي لبعض أسماء القيامة في القرآن الكريم، وأثر السياق في ذلك) يهدف إلى بيان مفهوم الجرس الصوتي، وتسليط الضوء على بعض أسماء القيامة الواردة في القرآن كنموذج لذلك، مع بيان أثر السياق القرآني في اختيار اللفظ الوارد دون غيره؛ ولتحقيق ذلك جاء البحث في ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتليها خاتمة. أما المقدمة ففيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه. وأما المباحث الثلاثة في التعبير القرآني فقد تناولت في المبحث الأول: تعريف الجرس الصوتي في القرآن الكريم، وفي المبحث الثاني: أهمية الجرس الصوتي مع بيان أثره في البلاغة القرآنية، وانفرد المبحث الثالث بتسليط الضوء على جرس بعض أسماء القيامة الواردة في القرآن الكريم، مع بيان أثر السياق القرآني في ذلك. وبناءً على ذلك فقد خلص البحث إلى خاتمة تحتوي على أهم النتائج والتوصيات. أما النتائج تبرز أهمها فيما يلي: أن الجرس الصوتي ظاهرة بارزة في التعبير القرآن ولها أثر كبير في بلاغته، وأن اللفظة القرآنية تؤدي بدقة دورها المعنوي الجمالي في موضعها بحيث لا تنوب عنها لفظة أخرى.

وأما التوصيات فالباحثة توصي بأن تتوجه جهود المهتمين بالدراسات القرآنية إلى البحث فيما يتعلق بالجرس الصوتي للفظة القرآنية من جوانب تفسيرية وبلاغية؛ لأن الدراسة القرآنية بحاجةٍ ماسةٍ إلى توظيف هذا العلم توظيفاً كاملاً لاستخراج جوانب الإعجاز القرآني.

الكلمات المفتاحية: الجرس، الصوتي، القيامة، السياق.

The vocal timbre of some names of the Resurrection in the Holy Qur'an, and the effect of context on that

Rehab Kamel Abdullah Al-Hashemi
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences in the Department of Islamic Studies, Shaqra University
E-mail : ralhashimy@su.edu.sa

Abstract:
This research is entitled: (The phonetic bell of some of the names of the resurrection in the Holy Qur'an, and the impact of the context on that). It aims to clarify the concept of phonetic bell, and to shed light on some of the names of the resurrection mentioned in the Qur'an as a model for that, with an indication of the impact of the Qur'anic context in choosing the word mentioned only; To achieve this, the research came in three sections preceded by an introduction and followed by a conclusion. As for the introduction, it contains the importance of the research, its problem, and its objectives. As for the three topics, they dealt in the first topic: the definition of phonetic bell in the Holy Qur'an, and in the second topic: the importance of the phonetic bell with an indication of its impact on the Quranic rhetoric. in that. Accordingly, the research concluded a conclusion containing the most important findings and recommendations. As for the results, the most important of them are as follows: that the phonetic bell is a prominent phenomenon in the expression of the Qur'an and has a great impact on its rhetoric, and that the Qur'anic word accurately performs its aesthetic and moral role in its place, so that no other word replaces it.
As for the recommendations, the researcher recommends that the efforts of those interested in Quranic studies be directed to research regarding the phonetic bell of the Quranic word from the explanatory and rhetorical aspects. Because the Qur'anic study is in dire need of fully employing this science to extract aspects of the Qur'anic miracle.

Keywords: Bell, Phonetic, Resurrection, Context.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

لقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن جعل القرآن الكريم هو المعجزة الباقية الى قيام الساعة، فكان ولا زال بحراً من الإعجاز لا ساحل له ولا قرار، غاص في أعماقه المتبحرون في العلم، وكلٌ منهم عاد بلؤلؤة نفيسة وجوهرة ثمينة، ولا زال الكثير يبحث ويستلهم منه المعارف والعلوم إلى أن تقوم الساعة.

فقد دُرست وبُحثت جوانب إعجازه فكانت لا تحصى، ومن بينها إعجازه البلاغي والبياني. حيث تجد أن كل لفظة فيه تتناسب مع معناها (كأنها خلقت لذلك المعنى خلقاً، وأفرِغت عليه إفراغاً، حتى لا يناسبه غيرها فيما يلتئم على لسان المتكلم، ولا يكون في موضعها أليق منها في مذهبه ولحن قومه وطريقة لغته.

فلما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق.

ليس في ذلك إعناتَ ولا معاياة، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته – ما أذهلهم عن أنفسهم، من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود؛ حتى أحسُّوا بضعف الفطرة القوية، وتخلف الملكة المستحكمة؛ ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه، وأن هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم، وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد العرب أو اعتراض مساغه إلى هذه النفس، إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم واطلع على قلوبهم، بل هو السر الذي يفشي بينهم نفسَه، وإن كتموه، ويظهر على ألسنتهم ويتبين في وجوههم وينتهي إلى حيث ينتهي الشعور والحس، فليس للخلابة أو المؤاربة وجه في نقض تأثيره) [١]

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: ص١٣١.

من منطلق ما سبق، أصبح من الأهمية بمكان دراسة الإعجاز الصوتي، ودوره في البلاغة القرآنية، مع تسليط الضوء على أسماء القيامة تحديدًا، حيث وجدتُ فيها تنوعًا صوتيًا وجرسيًا كبيرًا حسب السياق القرآني الواردة فيه اللفظة.

أهمية الموضوع:

١) تَعلق هذا الموضوع بالدفاع عن كتاب الله تعالى، الذي يستلزم منا تجلية معانيه، وبيان إعجازه.

٢) تنوع الجرس الصوتي لأسماء القيامة في القرآن الكريم، حسب تنوع السياق.

٣) أن هذا الموضوع يبرز أحد جوانب الإعجاز البلاغي والصوتي للفظة القرآنية.

خطة البحث:

ولقد قسمتُ البحث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المقدمة: وقد تضمنت:

١) موضوع البحث.

٢) أهمية موضوع البحث.

٣) خطة البحث.

٤) منهج البحث.

القسم الثاني: محتويات البحث:

المبحث الأول: تعريف الجرس الصوتي في القرآن الكريم

المبحث الثاني: أهمية الجرس الصوتي وأثره في البلاغة القرآنية.

المبحث الثالث: الجرس الصوتي لبعض أسماء القيامة في القرآن الكريم، وأثر السياق القرآني في ذلك.

القسم الثالث: الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وتوصياته. ثم الفهارس.

المنهج المتبع في البحث:

١) كتبتُ الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني.

٢) ضبطتُ من النص ما يحتاج إلى ضبط مراعية في ذلك القواعد النحوية والإملائية، وعلامات الترقيم.

٣) اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي لتوضيح مقصود البحث ومراميه.

الدراسات السابقة:

لقد وجدتُ واستعنتُ – بعد الله – بمجموعة من الكتب التي تناولت موضوع القصة القرآنية عموماً، وما يتناول الحديث فيه عن الشخصية على وجه التحديد. ومن أبرز ما وقفتُ عليه من ذلك:

١) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم لمحمد إبراهيم شادي.

٢) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب لماهر مهدي هلال.

٣) الصوت اللغوي في القرآن لمحمد حسين علي الصغير.

٤) بحث الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن ، لياسر علي عبد سلمان الخالدي ، وكاظم صافي حسين الطائي .

٥) وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام أحمد الراغب.

ولكن لم أجد فيما وقفتُ عليه من كتب وأبحاث، من تناول أسماء القيامة تحديداً ببحث ودراسة جرسها الصوتي وأثر السياق القرآني في هذا الاسم. وهذا هو الجديد الذي أقدمه من خلال هذا البحث.

وفي الختام:

إن مما يجب على ذكره في هذه الخاتمة أن هذا البحث محاولة يعتريها ما يعتري كل محاولة من إصابة وخطأ، فإن أصبتُ فبفضل الله وبرحمته فله الحمد والشكر، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان . فاستغفر الله وأتوب إليه .

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: تعريف الجرس الصوتي في القرآن الكريم

الجرس في اللغة:

مصدر، الصوت المجروس. والجرس: الصوت نفسه. وجرس الحرف: نغمته. والحروف الثلاثة الجوف: وهي الياء والألف والواو، وسائر الحروف مجروسة(١).

وجرس الكلمات: نغمتها وصوتها وإيقاعها، الحاصل نتيجة التلاؤم بين حروفها.

وجرس العبارات: إيقاعها الصوتي الحاصل من التلاؤم بين كلماتها (٢).

إذًا نجد أن الجرس الذي هو صوت الحرف يرتبط بالحرف قبل ارتباطه باللفظ ومن ثم الجملة. وكل ذلك له تأثير صوتي وحسي للكلام في نفس السامع.

ومن التعريفات الجميلة للجرس:

(أن يأتي مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث)(٣)، وهذا المعنى الذي نجده في معظم ألفاظ العربية، فنجد أن معظم أسماء الأسد تتميز بقوة الجرس الدالة على قوة المسمى (ضرغام، غضنفر، قسورة، خثعم ....) في حين نجد أن معظم أسماء الماء تتميز حروف ألفاظها بالجرس اللطيف السهل نطقًا وسمعًا، محاكيًا في ذلك عذوبة الماء وسلاسته وانسيابه فمن هذه الأسماء (الزلال، السلسبيل، ....).

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (ج ر س) : ٦/ ٣٥ – ٣٦.

(٢) نظرية التصوير الفني لصلاح الخالدي: ص ١٠٤.

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، لمحمد شادي: ص ٢٨.

فالجرس خصيصة ذاتية محسوسة في بناء اللفظة من خلال تباين اجراس حروفها التي بنيت عليها، وتشكل هذه الحروف في ائتلافها وتنافرها نغم الالفاظ وقيمتها الحسية مفردة كانت او منظومة في سياق التعبير الادبي(١).

لذلك نلاحظ تفرد بعض ألفاظ العربية بجرس صوتي مميز يتناسب مع دلالة المعنى، قوة وضعفا، شدة ورخاوة، لين وغلظة. مما يكسب هذه الألفاظ ذائقة سمعية خاصة تميزها عن غيرها من مرادفات ذات المعنى و دلالته .

من منطلق ذلك نجد أن ألفاظ القرآن الكريم (لها استقلاليتها الصوتية، إما في الصدى المؤثر، وإما في البعد الصوتي الخاص واما بتكيف المعنى بزيادة المبنى، وإما بإقبال العاطفة، وإما بزيادة التوقع فهي حيناً تصك السمع، وحيناً تهيئ النفس، وحيناً تضفي صيغة التأثر فزعاً من شيء، او توجيها لشيء، او طمعاً في شيء وهكذا(٢).

(١) جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب لماهر هلال: ١٧٠.

(٢) الصوت اللغوي في القرآن: محمد حسين علي الصغير: ١٦٤.

المبحث الثاني: أهمية الجرس الصوتي وأثره في البلاغة القرآنية:

لقد اتسم العرب بدقة الملاحظة، وسلامة الحس الفطري في تذوق الأصوات، فقسموا الحروف إلى طائفتين صوتيتين:

الأصوات الصائتة، والأصوات الصامتة. فحروف العلة في المعجم العربي وهي: الياء والواو والألف من الصوائت، وبقية حروف المعجم من الصوامت، وقد أدركوا جميع الملامح التي ميزت بين هذه الأصوات، فانقسمت عندهم إلى مجهورة ومهموسة تارة، وإلى رخوة وشديدة تارة أخرى، وإلى أسنانية ولثوية مرة، وإلى حنكية ولهوية مرة، ومن ثم تجد الإشارات الصوتية في كل ملحظ من ملاحظ الأصوات المترامية لدى التقسيم(١).

ومن منطلق هذا، نجد أن بعض الألفاظ تتميز حروفها بالصفات الجهرية القوية الشديدة النبر، فتصبح الكلمة في مجملها قوية الجرس شديدة الإيقاع، وفي المقابل نجد العكس فتتجاور الحروف السهلة الرخوة في الكلمة الواحدة، فتنتج لدينا لفظة رقراقة عذبة خفيفة على السمع. وفي حالات أخرى تتجاور الأحرف القوية المجهورة مع الأحرف المهموسة في الكلمة الواحدة. ومع ذلك يصبح هذا الامتزاج في غاية الجمال إذا ما ناسب ذلك السياق ولامس الموقف الواردة فيه هذه اللفظة.

ولقد تميزت ألفاظ القرآن الكريم بالدقة في التعبير، وتناسب وتناسق صوت اللفظ مع المعنى المراد، واتساق اللفظ والمعنى في السياق القرآني. لذلك نجد ألفاظ السور المكية قوية جزلة شديدة الجرس، وخاصة إذا كان السياق تحذيري وتوعدي. فلم يرد لفظ (كلا) بقوته وهيمنته إلا في السور المكية. وفي المقابل نجد الألفاظ السهلة اللينة الرقراقة ترد في سياق الوعد وحسن المآل.

(١) الصوت اللغوي في القرآن لمحمد الصغير: ص ١٧.

فمن أمثلة تناسب الجرس الصوتي لمعنى اللفظ حتى كأن الموقف المذكور فيه اللفظ يتحول الى محسوس لفظ (يُدَعُّونَ) في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ الطور [١٣]

فالدعُّ هو الدفع بالظهر بعنف، و (يُدَعُّونَ) أي: يُدفَعون دفعاً عنيفاً بجفوة وغلظة من كل مَن يقيمه الله لذلك، ذاهبين ومنتهين إلى نار جهنم، وهي الصبغة التي تلقاهم العبوسة والكراهة والتغيظ والزفير(١) .

وقد جاء لفظ الدعّ بجرسه الشديد ليصور الدفع في الظهور في ذلك الموقف الرهيب الذي يقف فيه الكفار أمام هول النار، وطغيانها، فلا تساعدهم أرجلهم على السير رهبةً وفزعاً فتدفعهم الزبانية في أعلى ظهورهم مما يوازي صدورهم ومن شأنه ذلك يُسمَع لصدره صوت غير إرادي يتكون من هذا المقطع (إع) ولهذا كانت هذه الكلمة مصورة للمعنى بجرسها ورنينها (٢) ، ولعل الملاءمة كانت واضحةً في هذا اللفظ، فالعين من الأصوات الحلقية الرخوة المجهورة التي تمتلك قيمة تعبيرية كبيرة في تصوير مشاعر التوجع والتألم .

كما إن مجيء الفعل مبنيًا للمجهول أعطاه شدة وقوة من مجيئه مبنيًا للمعلوم، فمتى ما كان الفاعل مجهولاً كان الأمر أشد وطأة على الذي يقع عليه الفعل، لأن في ذلك إشارة إلى قوة خفية أحدثت الفعلَ.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ١٩ / ١٠

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم إبراهيم : ١ / ٢٦٦ ، بحث الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن ، لياسر علي عبد سلمان الخالدي ، وكاظم صافي حسين الطائي مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية – جامعة بابل ، كانون ٢٠١٤ م ، العدد ١٨ .

علاوة على ذلك فإن صوت الضمة في أول الفعل يعد من الأصوات الثقيلة، فلو جاء الفعل مبنيًا للمعلوم لكان حركة أوله الفتح ولمّا كانت الدال مفتوحة فإنه سيكون توالي لصوت الفتح، وهذا سيعطيه سهولةً وخفة [١] ، إذ إنه إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستثقل وبخلاف تلك الحركات الثقيلة فإنه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت [٢] .

إذا يظهر من المثال السابق كيف يتم من خلال الجرس الصوتي نقل اللفظ من مجرد الدلالة المعنوية، الى ما هو أعمق وأبعد عن ذلك، حتى يصبح المعنى كالمحسوس والملموس، بل هو باختصار تجسيد للمعنى.

ففي القرآن الكريم نجد أن الصبح يتنفس. وحقاً هذا ما نشعر به في الصباح الباكر، ونستشعر لزوجة الطين وصوت الصلصلة الصادر منه أثناء خلق آدم – عليه السلام به، وغرابة اللفظ (ضيزى) المتناسبة مع غرابة جرسها الصوتي مع غرابة التفكير والمعتقد لديهم. وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة الدالة على دور الجرس الصوتي في إثراء المعنى، بل وإخراجه من مجرد قالبه النظري إلى قالب محسوس يبرز من خلاله ما هو أعمق من المعنى المجرد.

(١) بحث الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن ، لياسر علي عبد سلمان الخالدي ، وكاظم صافي حسين الطائي ، وكتاب قواعد النقد الأدبي لاسل كرومبي : ٣٤

(٢) المثل السائر لابن الاثير: ١ / ١٩٣

المبحث الثالث: الجرس الصوتي لبعض أسماء القيامة في القرآن الكريم، وأثر السياق القرآني في ذلك:

إذا تأملنا أسماء يوم القيامة الواردة في القرآن، نجدها في حقيقتها صفات لذلك اليوم، فكلّ اسم يرسم بجرسه صورة من أهواله وأحواله.

ف «القيامة» تصوّر قيام الناس من القبور و «الساعة» تصوّر قربها الزمني، وكأنها هذا الوقت المحدود و «البعث» تصوّر بعث الناس من جديد، وما يرافق ذلك من حركات وهيئات وذهول و «القارعة» لأنها تقرع القلوب والآذان بالأهوال و «الصاخّة» تصخّ الآذان من شدّة وقعها وتأثيرها، «الطامّة» تطمّ الأشياء والمخلوقات جميعا وتعمّهم، وتعلوهم بأهوالها وأحوالها.

وكذلك بقية أسماء القيامة مثل: «الواقعة، والغاشية، والحاقة، والحساب، والفصل ...إلخ.

فهذه الأسماء أو الصفات الكثيرة تدلّ على عظم شأن ذلك اليوم [(١)]، يقول القرطبي: (وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه ... فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سمّاها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة)[(٢)]

وقد تناولنا فيما سبق من مباحث معنى الجرس الصوتي في القرآن وأثر ذلك في بلاغته، وسنسلط الضوء في هذا المبحث عن الجرس الصوتي لأسماء القيامة تحديدا. وكيف يؤثر السياق القرآني في تنوع جرس ألفاظ هذا المصطلح، فأقول وبالله التوفيق:

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام راغب: ص٣٢٦.

(٢) اليوم الآخر للدكتور عمر سليمان الأشقر: ٢ / ٣٠ .

ورد ليوم القيامة العديد من الأسماء الدالة عليه، ولعل أبرز هذه الأسماء والتي تميزت بجرسها الصوتي المتأثر بالسياق ما يلي:

١) لفظ (الآزفة):

قال تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾ سورة غافر[١٥ –١٩] .

قبل أن نتناول الجرس الصوتي للفظ (الآزفة) نحتاج معرفة تفسير الآية لمعرفة السياق الذي وردت فيه اللفظة المقصودة فالآزفة هي (يوم القيامة. وسميت آزفة لقربها، كأنها قريبة عند الله تعالى، وإن كان الناس يستبعدونها. وقيل: هي قريبة لأنها كائنة لا محالة، وكل كائن قريب.

أما قوله: {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ } فعن عكرمة أنه قال: تضيق للناس أرض القيامة، حتى لا يكون لأحد إلا موضع قدمه، ثم يضيق لهم أيضا حتى يوضع القدم على القدم، ثم يبكون حتى تنفد دموعهم، ثم يبكون الدم حتى ينفد، ثم تشخص قلوبهم إلى حناجرهم، ثم قرأ قوله تعالى: { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ.... الآية) قال قتادة: ترتفع القلوب من الصدور إلى الحلوق، وتلتصق بها من الخوف والفزع، فلا هي ترجع من أماكنها، ولا هي تخرج [١].

(١) تفسير السمعاني: ٥/ ١٢– ١٣.

فإذا ما تأملنا سياق الآيات الكريمة، نجدها تتحدث عن أهوال كثيرة وقوية، ولكنها متتابعة وهذا التتابع يتميز بالسرعة الزمنية، فتبدأ الأحداث من يوم التلاق، ثم البروز والعرض على الله – تعالى – للحساب والذي وصف – تعالى – نفسه بأنه سريع الحساب. وإذا سلطنا الضوء على لفظ (الآزفة) نجدها وردت خفيفة من التضعيف سريعة في النطق، لا يتخللها مدّ ولا شدّ، لفظة تتناسب تماماً في موضعها مع السياق الواردة فيه.

فاسم (الآزفة) مناسب في جرسه ومعناه (فهي آزفة، قريبة، وكأنّها زاحفة نحو الناس، وحين يرونها بأعينهم، ويرون أهوالها، يشتد خفقان القلوب، حتى تصل إلى الحلوق من شدة الاضطراب والخفقان، وهذه الصورة تعبّر عن شدة الكرب، ومنتهى الضيق، وغيظ النفوس، ويزيد هذه الصورة هولًا ورعبًا، تقطّع الروابط الاجتماعية، وانشغال الإنسان بنفسه عمّن سواه) [١]

يقول الدكتور محمد حسين الصغير:

ورقة (الآزفة) في لفظها بانطلاق الألف الممدودة من الصدر، وصفير الزاي من الأسنان ، وانحدار الفاء من أسفل الشفة ، والسكت على الهاء منبعثة من الأعماق ، كالرقة في معناها في الدنو والاقتراب وحلول الوقت ، ومع هذه الرقة في الصوت والمعنى ، إلا أن المراد من هذا الصفير أزيزه ، ومع هذا التأفف هديره ورجيفه ، فإدناء يوم القيامة غير إدناء الحبيب، واقتراب الساعة غير اقتراب المواعيد ، انه دنو اليوم الموعود ، والحالات الحرجة ، والهدير النازل ، إنه يوم القيامة في شدائده [٢].

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام الراغب : ص٣٢٧ .

(٢) الصوت اللغوي في القرآن لمحمد حسين الصغير: ص ١٧٤.

٢) لفظ (الصاخة)

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة عبس : ٣٣ – ٣٦) .

الصَّاخَّةُ: اسم من أسماء القيامة، واللفظة في حقيقتها إنما هي لنفخة الصور التي تصخ الآذان أي تصمها، ويستعمل هذا اللفظ في الداهية التي يصم نبؤها الآذان لصعوبته، وهذه استعارة وكذلك في الصيحة المفرطة التي يصعب وقعها على الأذن، ثم ذكر تعالى فرار المرء من القوم الذين معهودهم ألا يفر عنهم في الشدائد، ثم رتبهم تعالى الأول فالأول محبة وحنوا[١].

فالصاخّة بجرسها الشديد، الذي يصخّ الآذان، ترسم مشهدًا مرعبًا لذلك اليوم، نرى فيه حركة الفرار الجماعيّة، وتقطع الروابط الاجتماعية، وهذه الحركة تجسّم الحالة النفسية المضطربة والخائفة وتفكير الإنسان، بنجاته، وانشغاله بذلك عن أقرب الناس إليه [٢].

فلفظ (الصاخة) لفظ قوي البناء، له جرس شديد الوقع على الآذان، قوي حتى في نطقه، حيث حرف المد بما فيه من ارتفاع الجرس ثم حرف الخاء المشدد، والذي يزيد من قوة الصوت، وأخيرا وجود التاء في نهاية اللفظ، والتي تنطق هاء ساكنة عند الوقف. كل ذلك يتناسب مع قوة السياق الذي يشرح قوة الموقف. فهو يوم القيامة الذي من صفاته صدور هذا الصوت القوي الذي يصخ الآذان، ثم فرار الأحبة من هول هذا الموقف.

(١) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٤٤٠):

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام الراغب: ص٣٢٧.

٣) لفظ (الواقعة):

قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾ [سورة الواقعة:١-٥].

الاسم الأخير من الأسماء المقصودة بالدراسة في هذا البحث والمتعلقة بيوم القيامة اسم (الواقعة)، قال الراغب: الوقوع: ثبوت الشيء وسقوطه، يقال: وقع الطائر وقوعًا، والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في التنزيل من لفظ وقع، جاء في العذاب والشدائد، قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [سورة النمل:٨٥].أي: وجب العذاب الذي وعدوا لظلمهم وقوله ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء:١٠٠].وقع هنا تأكيدًا للوجوب والإيقاع، يقال في الإسقاط، وفي شن الحرب، ويكنى عن الحرب بالواقعة، وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك، وعنه استعير الوقيعة في الإنسان، والتوقيع: أثر الدبر بظهر البعير، وأثر الكتابة في الكتاب، ومنه استعير التوقيع في القصص[١].

وقال ابن عباس: الواقعة من أسماء القيامة، كالصاخة والطامة والآزفة، وهذه الأسماء تقتضي عظم شأنها، ومعنى وقعت الواقعة: أي وقعت التي لا بد من وقوعها، كما تقول: حدثت الحادثة، وكانت الكائنة

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف:١٥/ ١٧٨ – ١٧٩.

ووقوع الأمر نزوله، يقال: وقع ما كنت أتوقعه: أي نزل ما كنت أترقب نزوله. وقال الضحاك: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور[١].

وقال ابن منظور : الواقعة : الداهية ، والواقعة النازلة من صروف الدهر ، والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة [٢] .

وباستقراء هذه الأقوال، ومقارنة بعضها ببعض، تتجلى الدلالة الصوتية، فالوقوع هو الهوي، وسقوط الشيء من الأعلى، والواقعة هي النازلة الشديدة، والواقعة هي الداهية، وهي الحادثة ، وهي الصيحة ، وهي اسم من أسماء يوم القيامة ، وأكثر ما جاء في القرآن من هذه الصيغة جاء في الشدة والعذاب ، وصوت اللفظ يوحي بهذا المعنى ، وإطلاقه بزنة الفاعل ، وإسناده بصيغة الماضي ، يدلان على وقوعه في شدته وهدته ، وصيحته وداهيته[٣].

وأرى – والله أعلم – أن اسم القيامة في هذا الموضع أقل شدة من الأسماء (الطّامة، الصّاخة، الحّاقة) لأن مقصد السورة ليس التركيز على أهوال القيامة وأحداثها بقدر التركيز على انقسام الناس أثناء تلك الأحداث وتصنيفهم بحسب أحوالهم في الدنيا تكون عاقبتهم ومآلهم في ذلك اليوم.

هذا ما تيسر لي فيما يتعلق بالجرس الصوتي لبعض أسماء القيامة في القرآن الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان: ١٠/ ٧٥.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (و ق ع) : ٨/ ٤٠٣.

(٣) الصوت اللغوي في القرآن لمحمد حسين الصغير: ص ١٧٢.

الخاتمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: أحمد الله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن أكون قد وفقتُ في الوصول به إلى الغايات المنشودة. و الأهداف المأمولة.

أولاً: النتائج:

١. أن الجرس الذي هو صوت الحرف يرتبط بالحرف قبل ارتباطه باللفظ ومن ثم الجملة. وكل ذلك له تأثير صوتي وحسي للكلام في نفس السامع.

٢. الجرس خصيصة ذاتية محسوسة في بناء اللفظة من خلال تباين أجراس حروفها التي بنيت عليها.

٣. أن القرآن الكريم استطاع من خلال الجرس الصوتي نقل اللفظ من مجرد الدلالة المعنوية، إلى ما هو أعمق وأبعد ذلك، حتى يصبح المعنى كالمحسوس والملموس، بل هو باختصار تجسيد للمعنى.

٤. أسماء يوم القيامة الواردة في القرآن، هي في حقيقتها صفات لذلك اليوم، فكلّ اسم يرسم بجرسه صورة من أهواله وأحواله.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي بأن تتوجه جهود المهتمين بالدراسات القرآنية إلى البحث فيما يتعلق بجرس الألفاظ القرآنية من حيث ارتباطها بالسياق القرآني والدلالة التفسيرية والبلاغية لذلك. لأن الدراسة القرآنية بحاجةٍ ماسةٍ إلى توظيف هذا العلم توظيفاً كاملاً لاستخراج جوانب الإعجاز البلاغي القرآني.

٢- أوصي الباحثين بالدراسة التطبيقية البلاغية بتسليط الضوء على الجرس الصوتي المرتبط بموضوعات محددة في القرآن الكريم بمنهج استقرائي.

فهرس المصادر والمراجع

١): لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعـى الإفريقـي (ت ٧١١هـ)، الحواشـي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

1): lsan al3rb ،alm2lf: m7md bn mkrm bn 3ly ،abo alfdl ،gmal aldyn abn mnzor alansary alroyf3y al efry8y (t **711**h-) ،al7oashy: llyazgywgma3a mn allghoyyn ،alnashr: dar sadr – byrot ، al6b3a: althaltha - **1414** h-.

٢) [إعجـاز القـرآن والبلاغـة النبويـة]، المؤلـف: مصـطفى صـادق الرافعـي، الناشر: دار الكتـاب العربـي – بيـروت، الطبعـة الثامنـة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء ١.

2) [e3gaz al8ranwalblagha alnboya] ،alm2lf: ms6fy sad8 alraf3y ، alnashr: dar alktab al3rby – byrot ،al6b3a althamna - 1425 h - - **2005** m ،3dd alagza2 1.

٤) نظريـة التصـوير الفنـي، صـلاح عبـد القـادر الخالـدي، مكتبـة الأنجلـو المصرية، ١٩٦٤.

4) nzrya altsoyr alfny ،sla7 3bd al8adr al5aldy ،mktba alanglo almsrya ،1964.

٥) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، الرسالة للنشر، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

5) alblagha alsotya fy al8ran alkrym ،m7md ebrahym shady ،alrsala llnshr ،msr ،al6b3a alaoly 1409 h**1988 - -** m.

٦) جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠ م.

6) grs alalfazwdlaltha fy alb7th alblaghywaln8dy 3nd al3rb ،mahr mhdy hlal ،dar alrshyd llnshr ،1980 m.

٧) الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، ٢٠٠٠ م – ١٤٢٠ هـ.

7) alsot allghoy fy al8ran،m7md 7syn 3ly alsghyr،dar alm2r5 al3rby،2000 m – 1420 h.

٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

8) nzm aldrr fy tnasb alayatwalsor ،ebrahym bn 3mr bn 7sn alrba6 abn 3ly bn aby bkr alb8a3y،alnashr: dar alktab al eslamy، al8ahra.

٩) بحث الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن ، لياسر علي عبد سلمان الخالدي ، وكاظم صافي حسين الطائي مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية – جامعة بابل، كانون ٢٠١٤م ، العدد ١٨.

9) b7th algrs alsoty – drasa gmalya fy alfaz ghryb al8ran ،lyasr 3ly 3bd slman al5aldy ،wkazm safy 7syn al6a2y mgla klya altrbya alasasya ll3lom altrboyawal ensanya – gam3a babl ،kanon 2014 m ،al3dd 18.

١٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: نصر الله بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ) ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ.

10) almthl alsa2r fy adb alkatbwalsha3r ،alm2lf: nsr allh bn m7md abn m7md bn 3bd alkrym alshybany ،algzry ،abo alft7 ،dya2 aldyn ،alm3rof babn alathyr alkatb (t **637**h.) ،alm788: m7md m7y aldyn 3bd al7myd ،alnashr: almktba al3srya ll6ba3awalnshr – byrot ،3am alnshr:**1420** h.

١١) تفسير القرآن (تفسير السمعاني) (ط. الوطن) · المؤلف: منصور ابن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي أبو المظفر السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم أبو تيميم – غنيم بن عباس أبو بلال، الناشر: دار الوطن للنشر، سنة النشر: ١٤١٨ – ١٩٩٧، رقم الطبعة: ١.

11) tfsyr al8ran (tfsyr alsm3any) (6. alo6n) • alm2lf: mnsor abn m7md bn 3bd algbar altmymy almrozy alshaf3y alslfy abo almzfr alsm3any،alm788: yasr bn ebrahym abo tymym - ghnym bn 3bas abo blal،alnashr: dar alo6n llnshr،sna alnshr: 1418 – 1997،r8m al6b3a: 1.

١٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، المؤلف: عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

12)wzyfa alsora alfnya fy al8ran،alm2lf: 3bd alslam a7md alraghb ، alnashr: fslt lldrasatwaltrgmawalnshr – 7lb،al6b3a: alaoly ، **1422** h**2001 - .** m.

١٣) اليوم الآخر: للدكتور عمر سليمان الأشقر- ط ٥ – دار النفائس- الأردن- ١٩٩٤ م.

13) alyom ala5r: lldktor 3mr slyman alash8r- 6 5 - dar alnfa2s- alardn- 1994 m.

١٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

14) fto7 alghyb fy alkshf 3n 8na3 alryb (7ashya al6yby 3la alkshaf)،alm2lf: shrf aldyn al7syn bn 3bd allh al6yby (t **743** h-)،m8dma alt78y8: eyad m7md alghog،al8sm aldrasy: d.

gmyl bny 36a،almshrf al3am 3la al e5rag al3lmy llktab: d. m7md 3bd alr7ym sl6an al3lma2 ،alnashr: ga2za dby aldolya ll8ran alkrym ،al6b3a: alaoly**1434** ، h**2013 – .** m.

١٥) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

15) alb7r alm7y6 fy altfsyr ،alm2lf: abo 7yan m7md bn yosf bn 3ly abn yosf bn 7yan athyr aldyn alandlsy (t **745**h.) ،alm788: sd8y m7md gmyl ،alnashr: dar alfkr – byrot ،al6b3a: **1420** h..